الفصل السابع

(٢) المسيحية

(دين الطهر الوجداني)

لما كانت الديانة اليهودية قد تركت لليهود الحبل على الغارب، وتغلبت الماديات على عقولهم وغمرت قلوبهم، كان لابد من دين يخاطب الضمير ويتناجى مع الوجدان، ويناجي الروح ويتسلل إلى النفس، فيطهرها ويمحو ما ران عليها من زيف، ويزيل ما ألمّ بها من غشاوة؛ لذا كانت المسيحية خالية من المادة إلا شذرات أوحت بها الضرورة. فقد كان جل توجيهها لفت النظر إلى السماء، حيث لا تغني المجسمات المحسوسة عن الغبطة بالتأمل في ذلك الكمال الأبدي المطلق في الاتجاه إلى الله سبحانه وتعالى، حيث تجد النفس في هذا الاتجاه السعادة الكبرى والراحة التي لا يشوبها الملل، أو يعيبها القلق على المستقبل، بل يكون الإيمان بما هو آت وما مضى.

وبهذا كان طبيعيًا أن يطلب الإنسان طرق الهداية حسب فطرته وخلقته، التي فطر عليها ويستمع لنداء السماء: (ومَا خَلَقْتُ الجِنَّ والإنسَ إلاَّ لِيَعْبُدُونِ). وتجعل تلك العبادة خالصة لوجه الله لا يشرك بها مال، وذلك حسب قول المسيح عليه السلام: (لا يجوز لرجل أن يخدم سيدين، إما أن يخدم الله أو يخدم المال)؛ ولذا كانت المسيحية لا تدعو إلى التوحيد

والتنزيه عن الشرك فحسب، بل صورت الله سبحانه على أنه المعشوق الأسمى الذي يتجه إليه وجدان كل حي، فيتلاشى من قلب الإنسان ما عمر به من طقوس وشعائر وثنية، ويتبدل قلبه إلى عامر بحب الله الذي لا يعبد سواه وهو القادر على تحريك القلب، فالقلب بين أصبعين من أصابع الرحمن يحركه كيف يشاء.

والمسيحية هي النصوص التي جاء بها السيد المسيح عليه السلام، ولا يخرج مضمونها عن ما جاء على لسانه في القرآن الكريم: (أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ)، لا ما ألحق بكلامه من الفوارق وسيرته من التأويل. وبذلك تكون المسيحية هي دين الروح وخطاب القلب، ونداء الحس، بصرف النظر عن الفوارق الإقليمية والدولية، جاءت خالية من المراسم والطقوس، ومن علائق التجسيم والمادة التي تولد الرين على القلوب.

الله:

دعا المسيح عليه السلام إلى توحيد وتنزيه الله عن الشرك أو المشاركة، مثله في ذلك مثل باقي إخوانه من الأنبياء والرسل، وقد تبرأ من الذين قالوا عنه أنه الله أو ابن الله، وكان قوله لربه (ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم) خير حاسم للنزاع، وإن كان المتشدقون يتخذون من كلمة البنوة التي وردت مجازًا في بعض المواقف على أنه ابن الله فقد أخطأوا، حيث أن الكلمة كانت ترمز إلى جميع عباد الله المخلصين الذين أكنوا بوحدانية ربهم أنهم أبناء الله، وذلك حسبما جاء في أمر

المسيح القائل لهم يجب أن تصلوا هكذا (أبانا الذي في السماوات ليتقدس اسمك، ولتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض، اغفر لنا ذنوبنا... وفي هذا المقام يستطيع أن يقف كل مسيحي مؤمن ويناجي أباه الذي في السماء؛ أي ربه القدوس اسمه، والمنفذ لمشيئته في الأرض والسماء، غافر الذنب، قابل التوب شديد العقاب).

ويتضح لنا جليًا أن المسيح لم يكن إلهًا، أو لم يدعِ يومًا ما أنه إله؛ وذلك من مناقشته لأحد الفريسيين، عندما قال له الفريسي: (أيها المعلم الصالح، وهنا استدار المسيح إليه شبه مستنكر، وفي الوقت نفسه معلم مرشد: (كيف تدعوني صالحًا وليس أحد صالحًا إلا الله). ومن هذه النقطة تفهم أن الفريسي جاء يستدرج المسيح لأنه سمع من تلاميذه الذين يقولون عن المسيح أنه الله، فكان رده على المسيح عليه السلام مظهرًا لما يبطنه: (نعم يا معلم ليس أحد صالحًا إلا الله). وانتهت المناقشة بتأمين المسيح على كلام الفريسي حين قال له: (إنك لست بعيدًا عن ملكوت السماوات).

العقيدة في المسيحية الحقة: إن العقيدة في الدين الذي بشر به السيد المسيح تتجلى واضحة كل الوضوح فيما جاء في إنجيل يوحنا: (الله لم يره أحد قط). وتأكيد العقيدة التي جاءت بها المسيحية تُعلم المؤمنين أن من يؤمن بربه فهو حي، ومن لم يؤمن أو يشرك بربه أحدًا فهو ميت؛ لقول المسيح عليه السلام للمؤمن الذي جاء يستأذنه في ذفن أبيه الذي مات على غير الإيمان: (دع الموتى يدفنون موتاهم). وقد كان المسيح لا يقيم

للجسد وزنًا إلا بقدر بسيط على اعتبار أنه وعاء الروح، فقد كان يعلم تلاميذه قائلاً لهم: (لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد، بل الحري أن تخافوا من الذين يقتلون الروح). وكان في تعاليمه يقلل من شأن الدنيا وما حوت، ويفضل الآخرة التي هي خير وأبقى حيث يقول: (ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه).

(ب) المسيحية بعد المسيح

انحراف المسيحية: بعد وفاة المسيح عليه السلام بحوالي سبعين سنة –وهو تاريخ كتابة أول الأناجيل الأربعة (مرقص)– انبثقت عدة آراء خالف بعضها البعض، وكان محور الخلاف شخصية المسيح عليه السلام، وما حول تلك الشخصية من السمو الروحي، والسحر السماوي الإلهي الأخاذ، والنور الملكوتي الباهر.

فرأي يناقش شخصية المسيح على أساس طبيعة واحدة بمشيئتين، ورأي يناقش تلك الشخصية على أن المسيح طبيعة واحدة بمشيئة واحدة، ورأى ثالث يناقش شخصية المسيح على أنها طبيعتان ومشيئتان، ومن تلك الآراء المتباينة ظهرت في عالم المسيحية طوائف متباينة الآراء، كل طائفة آمنت برأي من الآراء الثلاثة.

والطوائف الثلاثة تزعم قيادتها ثلاثة من الكهنة، قاد كل منهم طائفة آمنت برأيه؛ فأول الكهنة آريوس، وسميت طائفته بالآريوسيون. والثانى هو نسطور وسميت طائفته بالنسطوريين. والثالث وهو يعقوب الإسحاقي وسمي

أتباعه باليعاقبة أو اليعقوبيين، ولكن تلك الطوائف الثلاثة أصبحت فيما بعد طائفتين لانقراض الطائفة الثالثة وذوبانها في الطائفتين، والطائفتان الجديدتان هما طائفتي الأورثودكس، والكاثوليك اللذين لا يزالان في وقتنا الحاضر، وإشارة واجبة أنه لم يظهر في ذلك الحين والبروتستانت، حيث أن البروتسانت لم يظهروا إلا في عام ١٥٢٩ ميلادية على يد زعيم المحتجين (مارتن لوثر). وقد كان الخلاف في بادئ الأمر خلافًا في الرأي، ثم تحول فيما بعد إلى خلاف طائفي مقيت تعدى حدود الجدل المألوف إلى نصب حبائل المكيدة التي تدبرها كل طائفة للأخرى، ويمكن تفصيل الآراء المختلفة فيما يأتي حتى نزيد القارئ وضوحًا.

أسباب الخلاف:

١- لا يعترف آريوس بلاهوت المسيح، حيث يقول أنه مخلوق ليس مولودًا من الأب، وبذلك فإنه لا يساوي الأب في الجوهر، وأن النبوة مجازية، فلا يصح أن تنسب بنوته للإله، لأن هذا يخالف العقل والمنطق.

٢- ويقول نسطور: أن المسيح ابن لله له أقنومان، والأقنومان هما عبارة عن النور المنبثق، وأن أحد الأقنومين إلهي والآخر بشري، فهو بالأول ابن الله، والثاني ابن مريم.

٣- ويقول يعقوب الإسحاقي ومعه أتباعه من اليعاقبة: أن المسيح أقنوم واحد وطبيعة واحدة ومشيئة واحدة، وكل من الطبيعة

والمشيئة إلهي؛ ولذلك فهو الله الأب، ضابط الكل، خالق السماوات والأرض.

ومن هنا نشأت الخلافات المذهبية في تكتل يشبه الحزبية، وتفرعت عن ذلك العقائد، واختلفت النظم، وتعددت الطرق في إقامة الشعائر الدينية، وكثرت الطقوس والرموز، وتغالى البعض في الرأي لدرجة التعصب، وتعددت الطرق في إقامة الشعائر الدينية، وتساهل البعض في تعاليمه رغبة في كثرة الاتباع. ثم انقسمت المسيحية في العالم شرقية وغربية إلى طائفتين كبيرتين، ثم إلى ثلاثة طوائف كبرى، ثم تفرع من الطوائف حوالي سبعين طائفة منتشرون في العالم، وإن قسموا حدوده فالأرثوذكسية اتخذت لها من الشرق ركيزة، والكاثوليكية تأصلت في الغرب، حيث خرجت البروتستانية. وإني لا أغفل هنا الإشارة إلى أن مصر –وخصوصًا في الوجه القبلي– استأثرت بالسبعين طائفة التي تفرعت عن الطوائف الكبرى.

تعريف الطوائف:

١– الأرثوذكسية: ومعناها الصراط المستقيم، أو الكنيسة القديمة.
٢– الكاثوليكية: ومعناها المنشقون.

ومن أثر هذا النظام الطائفي وجد النظام الكنائسي، وتفرع إلى ثلاث نظم في تأدية الشعائر الدينية، والنظم الثلاثة هي:

١- نظام الأكليروس: ويبدأ من البطريرك الذي يليه في الرتبة المقارنة، ثم الأساقفة، ثم القسوس أصحاب الامتياز، ويسمون بالقمامصة. والقسوس ذوي المرتبة البسيطة، ويطلق عليهم اسم القساوسة فقط.

ويشترك في كل مرتبة من هذه المراتب شروط خاصة لا مجال لتفصيلها، وهؤلاء جميعًا أصحاب الرأى والكلمة في كل ما يدور حول الكنيسة، وتلك هي الطائفة الأرثوذكسية.

٢- النظام البابوي: وذلك يرأسه البابا والكرادلة، وهم أصحاب الحق الأول والأخير في تنظيم الكنيسة، حيث يتكون منهم المجمع الكنائسي الذي يصدر إرادات بابوية سامية، هي إرادات إلهية، لأن البابا هو تلميذ المسيح الأكبر على الأرض، وتلك الإرادات لا تقبل الجدل أو المناقشة.

٣- نظام ديمقراطي: وهذا النظام الذي اتخذه البروتستانت فيما بعد، ويسمى بالنظام الشعائري المستقل ذاتيًا وتعاونيًا، يتعاون أعضاؤه على القيادة والوعظ فقط.

عقائد المسيحيين:

يقول المطران ثاوفيلس المرقصي في مخطوطه (بستان الأزهار في تفسير الشعار): [٢] **أنه بعد وفاة المسيح بحوالي سبعين سنة عندما بدأ مرقص الرسول في كتابة إنجيله، بدأ معه الخلاف في الرأي، ثم تطور الخلاف حتى بلغ أشده سنة ٣٢٥ ميلادية، عندما اجتمع مجمع ضم جميع طوائف المسيحية في الشرق والغرب، واتفق الجميع بعد المدارسة والمناقشة على الخطوط الرئيسية للمسيحية من ناحية العقائد والكتب المقدسة، واتفقوا على المبادئ الآتية:**

١- الاعتراف بالثالوث الأب، والإبنو والروح القدس شعارًا للمسيحية.

٢- يؤمن الكل بأن المسيح جاء لتخليص العالم من خطيئة آدم الموروثة.

٣- المعمودية سواء برش الماء أو غمر جزء كبير من الجسم فيه بعد صلاة الكاهن على ذلك الماء، ركن من أركان المسيحية الأساسية، وذلك نسبة إلى تعمد المسيح على يد يوحنا المعمدان (يحيى عليه السلام) في بحر الشريعة (نهر الأردن).

---

(٢) هذا المخطوط محفوظ بمكتبة الدير المحرق تحت رقم ١٠٣ من مؤلفات الآباء المرقصين المتنيحين، ومكتوب باللغة القبطية وكل صحيفة أمامها صحيفة ترجمتها باللغة الرعبية الدارجة بخط المؤلف.

٤- المناولة: وهي أكل القرابين رمز لجسد المسيح، وشرب الخمر المعتقة إشارة إلى دم المسيح المسفوك على خشبة الصليب، وذلك اعتراف من المجتمعين بصلب السيد المسيح.

كما أجمع المجتمعون على الاعتراف بالكتب المقدسة التي يضمها الكتاب المقدس بعهديه القديم والحديث، وما استقر عليه الرأي من الكتب والرسالات المعترف بها، وفي جملتها الكتب الآتية:

١- أسفار اليهود، العهد القديم؛ أى التوراة، من ضمن الكتب المعترف بها، وتعتبر نصف الكتاب المقدس عند المسيحيين.
٢- العهد الجديد: ويضم الأناجيل الأربعة، وهي (متى- مرقص- لوقا- يوحنا)؛ وهي عبارة عن تاريخ المسيح ومعجزاته.
٣- أعمال الرسل: وهي نبذ تحوي مجهود الرسل (تلاميذ المسيح) في التبشير والدعوة.
٤- الرسائل: عبارة عن خطب وعظات ألقاها تلاميذ المسيح في الأمم المختلفة داعين أهلها للمسيحية، وتعتبر تلك الرسائل أساس علم اللاهوت.
٥- رؤيا يوحنا اللاهوتي: وهي عبارة عن رؤياه التي تحوي تنبؤاته.

أما البروتستانت الذين سبق الإشارة إليهم، فقد جاءوا برأي يطابق رأي آريوس الذي يقول أن الجوهرين لا يتساويان، وقد قامت قومة البروتستانت على أساس الدعاية إلى وجوب التقيد بما تحويه الكتب

السماوية الرئيسية، ويرجع وقت قيام البروتستانت إلى عام ١٥٢٩م الذي رفضوا فيه تنفيذ أوامر الإرادة البابوية، وقد اهتموا بالمبادئ الأخلاقية من المسيحية قائلين: إن الدين ليس في مجرد الطقوس، وإنما هو في الأخلاق التي هي ثمرة الدين المسيحي الحقيقية.

ولم يعترفوا لا بالمعمودية، ولا بالمناولة، ولا بالاعتراف، وإن كانوا يعترفون بصلب السيد المسيح كما يعترف جميع الطوائف أن السيد المسيح تأنس وتجسد في بطن مريم العذراء، ثم جاء يدعو، وختام الدعوة أنه صلب على خشبة الصليب ليخلص دمه المسفوك العالم من خطيئة آدم عليه السلام.

ويمكن أن نختم هذا الموضوع معترفين أن المسيحية في أولها دين روحي سماوي جاء به المسيح من عند الله كما يقول الله تعالى في القرآن الكريم: (إِنَّمَا المَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ ورُوحٌ مِّنْهُ). ولكن الكهنة في كل زمان ومكان كانوا يحتكرون الأسرار لأنفسهم، تلك الأسرار التي لو كشفنا عنها لتبين أنهم يعرفون الحق ويحيدون عنه، وأنه ليمنعني من الدخول في أسرار الكنائس عديد من الاعتبارات سوف تزول ويأتي الوقت الذي نفصح فيه عن كل شيء.

ونعود لقولنا بأن رجال الكهنوت قد احتفظوا بكثير من الأسرار، وأباحوا الرموز للشعب، وهذه سنة جرى عليها جميع الكهنة من قبل المسيحية، وقد فصلنا ذلك في الفصول السابقة.

وقد أشار السيد المسيح إلى هؤلاء الكهنة عندما وجه القول إلى الفريسيين، والصدوقيين من اليهود قائلاً لهم: "لا تضعوا المصباح تحت الكيال"، وقد عنى المسيح بالمكيال الرموز والطقوس، كما عنى بالمصباح الحقائق المستورة تحت الرموز والطقوس.